

الحرب مرّت من هنا

رولا حسن

الحرب مرّت من هنا

سلسلة شهادات سورية -29- الحرب مرّت من هنا
رولا حسن

لوحة الغلاف: «امرأة» - فاطمة إسبر

الطبعة الأولى 2018

تمت طباعة هذا الكتاب بمساعدة من جمعية
«مبادرة من أجل سورية جديدة» - باريس

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يجوز نشر أي جزء من هذا
الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو،
أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أو بالتصوير،
أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية مسبقة من الناشر.

التوزيع:

أطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي
شارع الحمرا بناء رسامني
ص.ب: 6435 / 113 بيروت لبنان
هاتف: +961 1 750054
فاكس: +961 1 750053
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com

الناشر:

بيت المواطن للنشر والتوزيع
دمشق الجمهورية العربية السورية
هاتف: +961 78840213
بريد إلكتروني:
baitelmouwaten@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء الناشر.

الإهداء

إلى سوريا... على امتدادها.

بورتريه امراة سوريةة

إذا كنت حديقةً، فهذا لا يعني أنّ الشوك لن يثبت على أطرافك،
ولا يعني، إذا كنت غيمة، أنّك لن تحدثي سيلاً،
ولا يعني كونك قمرًا أنّك لن تظللي لصاً.
في منطقة الـ «بين - بين» نسقط ولا شيء هناك غير الألم
بارداً
يهطل على أرواحنا.

إحداثيات (حب، حرب)

ذئاب الظل

وحدها غيمة الرصاص

تمطر

ألفة البيوت

التي تهدم

تسقط

في قلبي.

الأهل يوضبون ذكرياتهم

في العيون

بينما

حياتهم

تتكسر على الدروب

كخائية
من فخار

لا شيء هنا
غير الحقد
يربي ذئابه
في الظل.

حب في دمشق القديمة

ربما لم تنتهي
أنه نسي
مساءً في يدك
وأقبل إلى الصباح
كمطر مفاجئ
ليللم
باكراً
من باب توما
بقايا روحه
ويرميها
في عينيك.

المدن تتسع
وقلوبنا تضيق
إلى أين نمضي
والخراب
يزهر في الوقت.

مَن ينتبه
إلى روعي
وهي تتقصف
كشجرة ليمون...

.
. .
. . .

وأنا أحصد بيادر الخيبة

كأنني
خرجت من الحرب
للتو...

مَنْ يَتَّبِعْهُ إِلَيَّ
وَأَنَا أَمْشِي
أَخَافُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
أَنْ أُنْكَسِرَ؟

من الألم
أخذنا تركتنا
كاملةً

.

.

هناك

في تلك الغابة

نبتنا

وحيداتٍ

كفطر

ذلك الرجل
 أحبني
 لذا بقيت ذاكرته يانعة.
 ذات خريف

رَبَّتْ ظِلَالِي عَلَى جَسَدِهِ
 وَمَضَيْتِ
 لَمْ أَتْرِكْ أَثْرًا يَدُلُّ عَلَيَّ
 وَلَوْ
 غَيْمَةً صَغِيرَةً.

أيها العابر
أنا من بلاد
لا تفيق من الشجر

لكن
الحرب
طاحونة دائمة الدويّ
في رأسي
الرصاص
حولي ينبث
كالعشب
البيوت

تقفّر في البال
أيها العابر
«خذني خفيفة
كنوم»
وامنحني
راحة الغابات.

8

لا تبارحني
كعطر
اندلق
على قميص.

كما في الحكاية
التي
لم يروها أحد

عرفتُ رائحتك
وغرقت.

سورية

مددت يداً

من مطرٍ

فنبتنا على امتدادك

كالصبار.

قلت:

هذا قلبي

شجرة

تقيؤوا تحت ظلّها

فاحتطبناها

وتدفّأنا.

ماذا نقول عن الألم

ودمعك الآن

وحده

يهطل

على جراحنا.

سأقتني
أثر الريح

وأذوي
في الجهات
حيث
لا تلملمني

ذكرى
ولا يكسرني حزن

.

.

.

فقط
لو أنبت
شجرة ليمون
في قلبك.

12

قبلة

الصحاري
التي تمتدّ
على طول جسدي
لا تعشبهها
سوى شفتيك

أتأرجح في وقتك
بينما
أقطف زهر الغيم
يهوي الشجر
خلفي
لو تحرر العصافير
من أصابعك
لو
تفرج ضحكة حبيسة
من عمر قديم.

14

هنا

الوقت

يمرّ

بعيني ثعلب.

تتمايل
أغصان حياتي
في هبوب جسدك
كثيف أنت
كغابة.

على سفح نظرتك
أنزع
من صدري الجهات
أخلص المواعيد
من عروة القميص
وأغفو
في الهواء الخفيف
لرائحتك.

على حافتي
تقيم
لا ترميك ريح
ولا
تقتلعك عاصفة

في الأخضر الذي خبأته
تتمدد بيننا
وفي نهارات الحرب الشاسعة
تغيب كشمس
بيننا
ألف حاجز وحاجز

موت و رصاص

يخطئنا

كل مرة

لا بيت لنا

لا مواعيد

شرعتنا الحرب

على العاصفة

والاحتمال.

هنا

لا أفعل شيئاً

فقط

أمسح غبار الوقت

عن الوجوه

أراقب الموت

وهو يعلب الحياة

في «ماركته» المسجلة.

19

بلاد

مدينة

مدينة

زرعناك على الشرفات

شارعاً

شارعاً

حفظناك غيباً

كنشيد مدرسي

رصاصة

رصاصة

أفرغنا حقدنا

في صدرك.

قليل من الكحل
في العينين
أحمر الشفاه
بلون التفاح

من ينتبه
إلى المدن
وهي تحترق
في قلبي.

لو أن جداراً بيننا
لما استطعنا

أن نطوي مدننا البيضاء
في الخزانة
ونقول أشياء كثيرة
عن الحرب
التي تركناها تعبر

لو أن جداراً بيننا
لما استطعنا

أن نحلم
مرة أخرى
بقمر
على شكل يددين.

من البلاد
التي يزهر فيها الأصدقاء
مع الحبق
لم أجلب
سوى الرائحة

كلما ابتعدت

انطوت الذكريات على نفسها
كثياب في دولاب

في تلك البلاد
لطالما أحبيت

أن تحتفظ بي

الأشجار

والينابيع

داخلها

كم مرة

تمنيت الغياب

كي لا أكون

هذا الجسد

وهذا الوجه

وأهترئ هنا

كالمعاطف والأصدقاء.

لا تسوّر المدن بالحكايا
لا ترسم
قمرأ
على شكل برتقالة

لا تولم
للذئاب.

برائحة النارج

مدن

تورق

في الماء

الماء

الذي لا تغمض

عليه عينان.

لم تنبت شجرة

ولم

يمرّ عصفور

هناك

حيث لم ينتظرنا أحد

حين مرت الغيمة

لمعت صور

وتكسرت ضحكات.

تريدني أكثر من جسدي
وأقلّ من الوقت

كيف أعبر هذا الشوق
وأفضي
إلى طفولة بعيدة
أشجار
ودروب
غارقة بالمطر

كيف أعبر
إلى
وقتٍ لست فيه
ويكون وقتاً.

كرعاة الغيم

نلهث

إثر

أحلامنا

كنا نحلم

أن نسبق

فضة القمر إلى السفوح

أن نوقظ الأشجار

من نومها الطويل

غير أننا

لم نفرز

إلا

بالليل
الذي عشب
في فخار العيون.

نساء

مثلي

متوججات بالماء

مشغولات

بتعب النهارات

مثلي

مأهولات بالغياب

مثقلات بالوحشة

أكثر ما نتقنه

تنقية الحياة

من الشتاء

وأكثر ما نعرفه
ذلك الحزن
الذي ينمو
كماء في العينين

نحن اللواتي
قلنا
للسماء اقتربي
قبل أن يلوحنا
ليل
علّ
قمرأً يسقط
في شرفة اليمين.

نبدأ الآحاد
بالصلوات
أما الجمعة
فنتنظر أن تبلىنا
النظرات
الأبناء
وهم ينسلون أعمارنا
كخيط في بساط
أكثر ما نشبه
تلك المدن
التي عبرتها الحرب
أو تلك الكراسي

حين نركن وحيدين
ينهشنا الماضي
بأنياب من قش.

ذاكرة من الحرب

الذاكرة

صدئة

كذاكرة سمكة

الضباب يتسرب

من الشقوق

يترك

وجوهاً

بلا عيون

وأعناقاً تطفو

على الماء

مدن
مسورة بالقلق
تموت في النهار

وفي الليل
تندفق
كنهر.

تلك المرأة

تلاحقني

لصوتها

رائحة البارود

في عينيها

مدن منهوبة

وأغنيات

لِمَ

حولني تدور؟

ولِمَ

كَلَّمَا نَظَرْتُ فِي الْمِرآةِ

طَالَعَنِي

وَجْهَهَا؟

أقصد يديك
أقصد السرخس
الذي
نما في ظلالهما
على جسدي

أقصد الزعتر
الحبق
الطيون
الريحان

الأماكن
التي غادرناها مبكرين

المواعيد
التي فاتتنا
الحب
الذي خسرناه

أقصد المدن التي
ينهشها الموت
بأنياب من رصاص

أقصد يديك

أقصد
بلادي.

ماذا يبقى من الصباح

حين

تتبعك العصافير

إلى منتصف القلب

ماذا يبقى من الغابات

عندما

تنام الأشجار

في أخضر صوتك

ماذا يبقى

مني

حين تترك
باب الغياب
مفتوحاً
على آخره.

في الحرب
 لا وقت
 كي ألبس فستاني
 الذي
 تحب
 أو أعقص شعري
 كذيل حصان
 لتفاجئني
 بقبلة على الرقبة
 .
 .
 في الحرب

الحب

وحيد

وخاسر

كجيش مهزوم.

حكايا عن أمي

*

كلما يهب

صوتك

تمرين

كألم خاطف

كأنك

ظلُّ

على طريق مضاءة

خيال

لا يهدأ

في البال
يا أمي
كما علمتني
ما زلت أرتب أحزاني
في الأدراج
وأخرج إلى الشرفة
لأدعو الجارة
إلى فنجان الحياة.

*

حدثني يداك
عن الحنان
الذي كالأشخاص
يشيخ
ويكبر

عن الماء
الذي يبحث
عن سواقيه

حين
ننحدر في الغياب.

طرطوس

هذه المدينة

تشبهني

كالحة

كروحي

قلقة كعاصفة

هادئة كموت

على أطرافها

يزهر

الصبار في العيون

هواؤها

يعبق بخوف

- ومن يعبق بخوف يُشم -

المدينة التي

تمنيت أن أكون نورساً

على شاطئها

لأعيد

ارتحالي كل يوم

في المياه

كيف أجعل

الآن

من مياهها

قارباً

يجتاز

العتبة

أنا التي

لم أستطع
أن أكون
غير مالك حزين
على امتدادها.

لم يبقَ حزنٌ لم نسقط فيه

في ظلال الألم

كبرنا

كسرخس

.

.

.

غير أننا

فتحنا للنهارات الشاسعة

قلوبنا

وهيأنا للصباحات

حدائق وعصافير

.

.

ولأننا لا نريد أن نبكي

على الأرجح...

نحن من يغني الآن.

تعلمت
بخبيات أكثر
أن أقيس الفرح

أما الحزن
فيكفي
أن أحصي النعوش
وهي تمضي
إلى
قلبي.

لن أزدحم معهم
 خلف مرآتك
 كوجه واحد
 سأختار مرآة
 وأزدحم فيها
 كبلاد.

لن أصوب نظراتي
 كما يصوب المحترفون
 طلقة
 طلقة
 بل سأتركه تتساقط
 ياسمينة

إثر

ياسمينة

لتسقط

-ليلة في الرأس

-وليلة في القلب-

قلت لي:
لتكن الشجرة
شرفة قمرك
في الحرب...
عبرتني الغابات
ولم أنتبه
إلى ظلالها
تحت الجفون.

سأقرأ كفك
 لأدلك إليّ
 سأوزّع ظلك
 سأغيب
 في الحضور السائل
 لوجهك
 في ضحكتك
 التي تتكسر
 كالزجاج
 ثم
 أدخل القصيدة
 أختبئ
 وأطفئ النور.

سأواعد
 رجلاً غيرك
 سأقص شعري
 كامرأة
 غارقة في خسارة
 لا تُحتمل
 سأرتدي فستاناً مشجراً
 لا تحبه
 ومن وقت لآخر
 سأتحسس صورتك المقطّعة
 في محفظتي

وحدها ملامحك

تنبت

على جسدي

كالعشب

تماماً

كبلاد

خرجت لتوها

من الحرب.

صدر من سلسلة «شهادات سورية»:

بمساعدة من جمعية «مبادرة من أجل سورية جديدة» - باريس:

1. موزاييك الحصار، عبد الوهاب عزّاوي.
2. إلى ابنتي، هنادي زحلووط.
3. بين الإله المفقود والجسد المستعاد، نبراس شحيّد.
4. كَمَن يشهد موته، محمد ديبو.
5. حكايات من هذا الزمن، دلير يوسف.
6. لم أتمدّد يوماً على سكة قطار، أحمد باشا.
7. مزهرية من مجزرة، مصطفى تاج الدين الموسى.
8. غرفة تطل على الحرب، إيديت بوفيه.
9. إذا قفزت عن السياج ولم أصب بأذى، عمرو كيلاني.
10. أرض مائدة، ضحى حسن.
11. لم تنته الحكاية بعد، رؤى الإبراهيمي.
12. إكثار القليل، دارا عبد الله.

بدعم من المنظمة الأورو - متوسطة لدعم المدافعين عن حقوق

الإنسان:

13. رسائل من سورية، وجدان ناصيف.
14. يوميات وقصائد، علي جازو.
15. انسَ دمشق، عمر يوسف سليمان.

بمساعدة من جمعية «مبادرة من أجل سورية جديدة» - باريس:

16. ما تبقى من حياة، سهى زكريا.
17. لا تغمض عينيك!، د. حسّان عبّاس.
18. الدرب مسامير، منار سهران شلهوب.
19. قتديل أم هاشم المفقود، عدي الزعبي.
20. الموت كما لو كان خردة، وداد نبي.
21. مذ لم أمت، رامي العاشق.
22. كأنها قيامة، محمد صدّيق عثمان.
23. خالي الذي في قبضتهم، ملاذ الزعبي.
24. مغلقة بسبب الإصلاحات، منذر مصري.
25. منازل الأوطان، نجاة عبد الصمد.
26. كأننا لم نكن هنا، بشّار يوسف.
27. أن تكون إنساناً، هيفاء بيطار.
28. لا أضلع تطال الضفّتين، جهاد عبيد.
29. الحرب مرّت من هنا، رولا حسن.